مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (02)، (ديسمبر-2022)، ص 161-172
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

التعليم في بلاد الرافدين –سومر (2900-2370 ق.م) انموذجا-

Education in Mesopotamia – Sumer (2900-2370 B.C) as a model

عبد الوهاب كيدار[1]*

جامعة عمار ثليجي الاغواط (الجزائر)، a.kidar@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2022/01/18 تاريخ القبول:2022/10/22

ملخص:

خلف الانسان العراقي القديم إرثا أدبيا غزيرا وكان للسومريين الاسهام الكبير في إغناء الفكر الإنساني، ويعتبر اختراع الكتابة عند السومريين في مقدمة المنجزات التي أفادت الشعوب القديمة، فبواسطتها تدون الكلمة وتحفظ وتنقل إلى الأجيال، حيث وصلتنا نماذج كثيرة من مؤلفاتهم مدونة على الرقم الطينية، ويبدو أن ظهور الكتابة بالمنطقة كان أحد الأسباب المباشرة في ظهور المدرسة التي كان لها الدور الفعال في حفظ الموروث الثقافي للأقوام التي تلت الحضارة السومرية، وسوف اتطرق في هذا المقال لظهور الكتابة ودوافع التعليم في بلاد الرافدين، ونشأة المدرسة السومرية، وكذا مناهج التعليم، بهدف ابراز دور المدرسة واهم المعارف التي اهتم بها الانسان السومري، متبعا في ذلك المنهجين الوصفي والتحليلي المناسبين لمثل هذه الدراسات، ومن هنا كان لابد من طرح الاشكال الآتي: كيف ارتبط ظهور الكتابة بظهور المدرسة في سومر وما علاقة المعبد بالتعليم؟.

كلمات مفتاحية: مدرسة؛ معبد؛ بلاد الرافدين؛ المسمارية؛ سومريون.

Abstract

The ancient Iraqi man left a rich literary legacy, and the Sumerians had a great contribution to the enrichment of human thought. The invention of writing by the Sumerians is at the forefront of the achievements that benefited ancient peoples, through which the word is written down, preserved and transmitted to generations, where we have received many examples of their writings written on the clay figure, and it seems that The emergence of writing in the region was one of the direct reasons for the emergence of the school, which had an effective role in preserving the cultural heritage of the peoples that followed the Sumerian civilization. The Sumerian man was concerned with, following the descriptive and analytical approaches appropriate for such studies, and from here it was necessary to put forward the following forms: How was the emergence of writing related to the emergence of the school in Sumer, and what is the relationship of the temple to education?

Keywords: The school; The temple; Mesopotamia; cuneiform; Sumerian.

* المؤلف المرسل

1.مقدمة

اهتم الانسان في الشرق الادنى القديم بالتربية والتعليم لما لهما من أهمية بالغة في تكوين الفرد والرقي بالمجتمع لهذا نجد أن الاسرة هي التي كانت تتولى التنشئة الاولى للطفل إلى أن يصبح في سن تخوله للالتحاق بالمدرسة، وتعتبر الكتابة أهم اختراع عرفته كل مصر وبلاد الرافدين حوالي 3200 ق.م؛ وهو ما يقابل في بلاد الرافدين (مجال الدراسة) مرحلة حضارتي الوركاء وجمدة نصر، حيث عثر على بعض الالواح الطينية في الطبقات الرابعة في كل من كيش وجمدة نصر سجلت عليها بعض الصور وكذلك بعض الرموز مما يوضح الدافع الاقتصادي لاختراع الكتابة، فإدارة المعبد كان لها الفضل في ظهور وسيلة التدوين، وقد نشأت فيه الحاجة إلى الإبداع في الكتابة والحساب ورصد الكواكب، وذلك لتدوين السجلات و الصلوات و مسك دفاتر الهيكل، وحفظ أوقات السنة الصالحة لزراعة أنواع الحبوب، كما كان للجانب الديني المعبر عن القوى الإلهية دوره في ظهور الكتابة، وقد كانت أداة لتسجيل كل ما يتعلق بالشؤون الدينية والطقوس بمختلف انواعها.

ويعتبر السومريون من الاقوام الاوائل الذين استقروا في حضارة بلاد الرافدين منذ اواخر العصر الحجري الحديث في حدود الاف الرابع قبل الميلاد، ويعود لهم الفضل في اختراع الكتابة وتطويرها، حيث ظل الخط المستعمل هو الخط المسماري ولكن بلغات مختلفة كالأكدية والبابلية والاشورية، وضمت سومر عديد المدن التي تواجدت جنوب العراق القديم ومن أهمها اور، اوروك (الوركاء)، نيبور، كيش، لجش، وأوما واريدو وغيرها من المدن السومرية، والتي تشكلت وفق كيانات سياسية تعرف بنظام الدولة المدينة، لكل منها معبدها الخاص واراضيها ومواردها وضيعاتها التابعة لها يشرف عليها الملك الذي يتمتع بالاستقلالية السياسية والدينية.

2.ظهور الكتابة:

تعتبر الكتابة المسمارية من أهم المصادر لدراسة تاريخ حضارة العراق القديم، وهي بذلك الأداة التي بني عليها التدوين، ففي وادي الرافدين نشأت الكتابة وتطورت، ومنها انطلقت إلى الحضارات المجاورة، وقد مرت الكتابة بمراحل عديدة وذلك وفقا لمراحل تطور المجتمع البشري من جهة، والبيئة المحيطة من جهة اخرى، وقد بدأ الإنسان الأول باستخدام علامات ورموز مختلفة من البيئة المحيطة به لاستخدامها كوسيلة اتصال ولتسجيل مختلف أفكاره، فكان يرسم بعض الصور والرموز للتعبير عما يريد توصيله للآخرين إلى أن توصل إلى الحروف الهجائيات والألفبائيات المختلفة، فكان اختراع الكتابة ذا أهمية كبيرة جدا في تطور الجماعات الإنسانية (إبراهيم، 2006، صفحة 03) . وكان من أثره أن سجلت القوانين والاساطير والملاحم والآداب بمختلف انواعها..

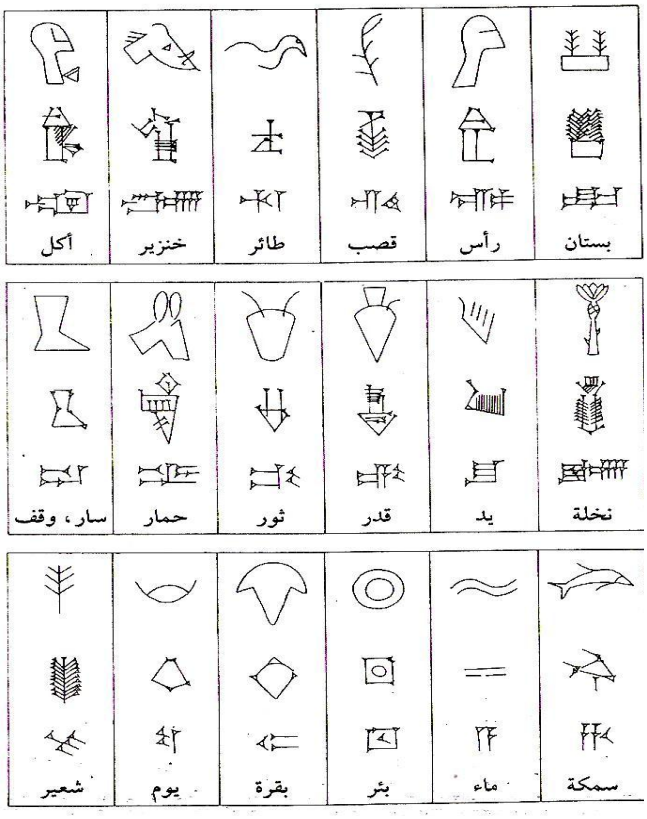

المصدر: سجى مؤيد عبد اللطيف، 2013، الصفحة 80.

الشكل 01: تطور الكتابة في بلاد الرافدين

وساهم المعبد بشكل كبير في اختراع الكتابة وقد أكد هنري فرانكفورت في كتابه "فجر الحضارة" فضل المعبد في بلاد الرافدين بقوله: " وفي هذه الهياكل-المعابد- نجد دلائل اختراع جديد لولاه لتعذر القيام بمنشآت عظيمة كهذه ولتعذر في الحقيقة تنظيم مجتمع على هذا المستوى العالي من التنظيم وهو الكتابة" (فرانكفورت، 1950، صفحة 71)، وبذلك أصبح المعبد هو المدرسة التي تعلم فيها الكتابة، حتى أن الكتبة ظلوا ألصق بالمعابد (صالح، 1973، صفحة 391)، وهو أمر طبيعي إذ يحتاج المعبد إلى الكهنة للقيام بالشعائر، لذلك وجب تدريب مثل هؤلاء وإعدادهم، وكان المكان المعقول لذلك هو المعبد نفسه أو بالقرب منه (سارتون، (د.ت)، صفحة 217)، فالكهنة يمثلون الفئة المتعلمة الرئيسية في المجتمع والمسؤولين عن تدوين الكتابات التي تضمنت مختلف التصورات الدينية (فرزات و عيد، 2000، صفحة 99).

وقد استخدمت الكتابة السومرية رموز المعاني البسيطة والمركبة، وتبعهم في ذلك البابليون والأشوريون الذين ورثوا عن السومريين طريقة الكتابة، وطوروها وحولوها إلى كتابة مقطعية كاملة، وغيروا من حالات كثيرة من رموز المعاني بما يناسب لغتهم وبالتالي رموز الأصوات المأخوذة عنها، وهكذا نجد أن الشكل النهائي للكتابة السومرية لم يكن وليد فترة زمنية قصيرة، فهي بدأت مع الحضارة السومرية ثم طرأ عليها النمو و التطور في الحضارات اللاحقة لها، ومرت بالمراحل التقليدية للكتابة (حسب الله و محمد، 1996، صفحة 74). وقد اصطلح على تسمية هذه الكتابة بالمسمارية حيث كان للخطوط التي يرسمونها نهايات مدببة أشبه بالمسمار بسبب القلم المستخدم.

الشكل 02: شكل القلم المثلث المستخدم في الكتابة المسمارية

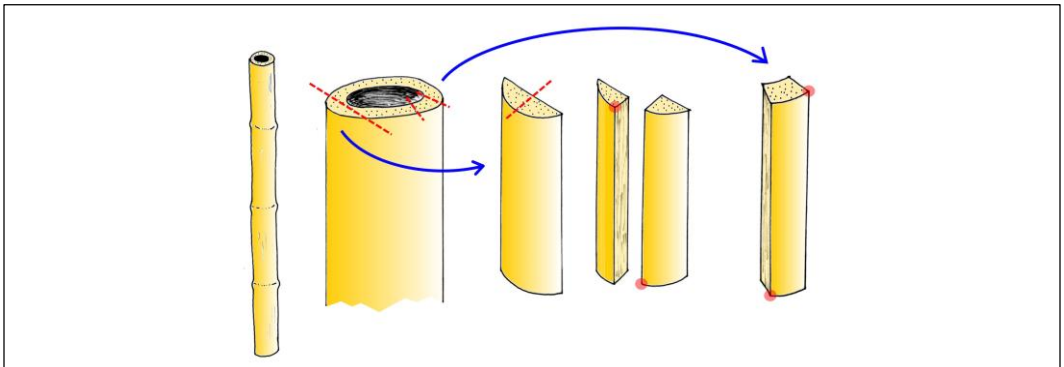

الشكل 3: نموذج لرقم طيني يحمل جداول سلالات الملوك السومرية كتب بالخط المسماري.

المصدر: (صبيحة اوكيل، 2017، الصفحة 286.)

3.دوافع التعليم عند السومريين:

ظهرت الحاجة لاختراع الكتابة بازدياد النفوذ السومري على المناطق المجاورة فقد مكنهم ذلك من جباية الضرائب التي فرضوها على المدن والاقاليم الواقعة تحت سيطرتهم، وقد احتاجوا إلى الكتبة لتسجيلها ولإرسال الرسائل والأوامر الملكية إلى حكام المدن والأقاليم، بالإضافة إلى ذلك تدوين الاحداث المهمة في زمن الملك، وقد دلت الآثار على أن الملوك كانوا يأمرون الكتبة بتسجيل أعمالهم التي تذكر اسم هذا الحاكم وألقابه وأعماله، ومن امثلة ذلك الملك السومري "ميزيليم 2600ق.م" وكذلك حاكم لجش الملك "اور-نانشي 2480-2460 ق.م " و"أي-أناتوم 2449-2430ق.م" الذي خلّف نصا يعرف بنصب العقبان يبرر فيه حروبه ضد مملكة أوما. ومن هنا نشأت الحاجة إلى تعلم الكتابة.

واحسن نموذج لذلك قوائم سلالات الملوك السومرية التي لقيت اهتماماً كبيراً في الأوساط العلمية بعد اكتشافها؛ فقد أُوجد أول لوح مدوَّن لسجل ملوك سومر في أوائل القرن العشرين في مدينة نفر وهو لوح يعود تأريخه إلى حدود 4000 سنة وبالتحديد القرن 22 قبل الميلاد، وهي أثبات

مطولة ومفصّلة، شملت الملوك الذين حكموا البلاد في عهد ما قبل الطوفان، ثم السلالات التي حكمت من بعد ذلك، إلى الزمن الذي جمعت فيه تلك الأثبات؛ فقد جمع الكتبة في حضارة وادي الرافدين قوائم بأسماء الملوك والسلالات الحاكمة في البلاد، مع تبيان ارتباط الملوك بالمدن التي ارتبطت بالملكية، وبذلك أدّت هذه القوائم إلى توضيح مفهوم رابطة الدم الملكي لدى السومريين مع الأرض، ويعود زمن كتابتها حسب البعض إلى فترة حكم الملك "اوتوشيجال" (اوكيل، 2017، الصفحات 91-92)، ويمكن الوقوف على الدوافع التي كانت تتوخاها فئة الكتبة وتنشدها من تعلم مهنة الكتابة؛ حيث نلمس ذلك بوضوح مما ورد في النصوص المسمارية التي تحث على احتراف هذه المهنة لما لها من أهمية كبيرة في حياة المجتمع، فقد كانت بعض الأسر الميسورة الحال توجه أولادها لينالوا قسطا من التعليم لكي يشغلوا المناصب والوظائف الإدارية (الجميلي، 2005، صفحة 58).

كما كان الكاتب يفخر بعلمه؛ حيث كانت الدراية بالقراءة والكتابة لقبا يعادل لقب مدير المعبد أو القاضي، ولهذا كانوا يكونون طائفة متصلة بمديري المعابد (دلو، 1989، صفحة 299). وكان معظم المتخرجين من المدرسة السومرية يلتحقون في وظائف الكتبة في خدمة المعبد والقصر وفي خدمة الأغنياء وذوي النفوذ في البلاد؛ إلا أنه كان من بينهم من خصصوا حياتهم للتدريس وتحصيل العلم، وبذلك أصبحت المدرسة السومرية التي بدأت حياتها على ما يرجح ملحقة بالمعبد مؤسسة دنيوية مع مرور الزمن، كما أن منهج تدريسها قد تطور أيضا فأصبح ذا صبغة دنيوية عالية (كريمر، (د.ت)، صفحة 46)، وفي الاغلب كانت القصور تحتضن المتميزين من الكتبة وتجعلهم في المناصب العالية، كما كانوا يحظون بمكانة رفيعة في المجتمع في حين كان هدف المعابد توفير أجيال من الكتبة لدمجهم في كافة جوانب الحياة اليومية وسد حاجات القصور والمعابد والاستفادة من مهاراتهم.

4. التعليم بالمدرسة السومرية:

1.4. ظهور المدرسة وشروط الالتحاق بها:

إن حاجة الملوك وكذا المعابد ودوائر الدولة إلى عناصر متعلمة تتقن الكتابة وتلم بالمعارف الرياضية أحد العوامل الأساسية في نشر المدارس في بلاد الرافدين (دلو، 1989، صفحة 298). ومن اقدم الوثائق المكتوبة في مدينة "ارك" وثائق أكثرها يحتوي على أجزاء من مذكرات اقتصادية أو إدارية، ولكن وجدت من بينها جملة ألواح تشتمل على جداول بكلمات لغرض الدرس والتمرين (كريمر، (د.ت)، صفحة 43)، كما كشفت بعض أعمال الحفر التي تمت في أور على منزلين يرجح أنهما مدارس للتعلم، وذلك من خلال النصوص التعليمية اللذين احتواهما المنزلين كجداول بالمفردات والقواعد اللغوية، كما عثر أيضا جداول للآلهة على رتب الكهنة، وتبين أن هذه النصوص كانت تلقن دروسا للتلاميذ في الاملاء والحفظ (الشواف، 1999، صفحة 296) .

لقد أمدتنا النصوص المسمارية المكتشفة بمعلومات مهمة تخص المدرسة وإدارتها وما تظم من طلبة ومعلمين، وعن مناهج الدراسة وأساليب التعليم، كما كان من بينها نصوص تحمل مذكرات الكتبة الخاصة بأيام الدراسة مع إشادات بأهمية التعليم في حياة الطالب، وقد وردت هذه المعلومات على هيئة نصوص تعليمية كتبها التلاميذ بالسومرية في تلك المدارس التي تدربوا فيها، وأعطوا وصفًا مفصلاً عما كان يجري بأروقتها (عواد، 1986، الصفحات 51-52)، ونجد من بين النصوص المسمارية التي تحدثت عن المدرسة أو ما يعرف ببيت الألواح (Eduba) وبالأكدية بيت-طب(Bit-tuppi) ، ما جاء ذكره على لسان مدرس سومري:

بيت كالسماء له محراب

مغطى بالثياب كأنه إبريق من النحاس

والذي يقف على قاعدته كأنه إوزة

يدخل فيه من عيناه مسدودتان

ويخرج منه عينان مفتوحتان، إنه المدرسة (الفتيان، 2001، صفحة 35)

كما يوجد نص يعود إلى حوالي 2000 ق.م يتحدث فيه أستاذ سومري في مذكراته عن يوميات الطالب وأيام التلمذة، والنص على شكل حوار جاء فيه:"أيها المتخرج القديم إلى أين كنت تذهب عندما كنت صغيرا؟ فيجيب المتخرج: كنت أذهب إلى المدرسة، ثم يسأله الأستاذ وماذا كنت تفعل في المدرسة؟ وهنا يجيب التلميذ: كنت أقرأ لوحي وأتناول غذائي ومن ثم أحضر لوحي الجديد لأنهي من كتابته وقبل المساء كانت ألواح التمارين تجلب إلي وعندما أنصرف من المدرسة كنت أعود إلى البيت وكنت أجد أبي جالسا هناك فأشرح لأبي ما يتضمنه لوح تماريني" (الراوي، 1985، الصفحات 380-381)

كانت في الغالب المدارس ملحقة بالمعابد أو القصر، ويبدو أنها كانت خاصة، وكان التعليم فيها لقاء أجر عدا الهدايا الاضافية للمعلمين، وقد بلغت المدرسة السومرية طور النضج والازدهار في النصف الأخير من الألف الثالث ق.م، ومن خلال النصوص نعلم أن عدد الكتبة الذين كانوا يمارسون مهنة الكتابة كان كبيرا، حتى أن البعض يقدره بعد آلاف، وهو الأمر الذي قد يحمل بعض المبالغة، وأولئك الكتبة على أصناف ودرجات، منهم الكتبة الصغار المبتدئون، والكتبة المتقدمون، والكتبة الملكيون، وكتبة المعابد، وكتبة من ذوي التخصص العالي في بعض النواحي خاصة بالشؤون الإدارية، وكتبة أصبحوا من كبار موظفي الحكومة (علي، 1995، صفحة 128).

وبما أن التعليم كان مقابل أجر فقد اقتصرت معرفة القراءة والكتابة في بلاد الرافدين على أقلية محدودة من أبناء الكهنة وكبار الشخصيات المدنية والعسكرية من أبناء الطبقة السائدة، وظل غالبية الشعب من الفقراء والعبيد محرومين من التمدرس، وعليه فإن التعليم لم يكن عاماً ولا إلزامياً، بل كان مقصوراً على طبقة معينة من الناس المتمكنين اقتصادياً من تغطية نفقات

الدراسة المرتفعة، والتي كانت تستغرق فترة زمنية طويلة . وفي عام 1946م استطاع أحد الباحثين الألمان المختصين بالمسماريات يعرف بـ "نيقولاس شنايدر(Nikolaus-Schneider) "، أن يبرهن على صدق هذه النظرية، فمن بين آلاف الوثائق الاقتصادية والإدارية المنشورة التي يرجع تاريخها إلى حوالي 2000 ق.م، وجد حوالي خمس مائة شخص دونوا أسماءهم فيها على أنهم من الكتبة، وذكروا فيها أن آباءهم كانوا من الطبقة العليا، إذ كان منهم الحكام والسفراء والموظفون في القصر ومن طبقات الكهنة المختلفة ورؤساء العمال، ومن الكتبة الموكلون بإدارة دور السجلات ومن المحاسبين والمشرفين على إدارة المعابد وضباط الجيش وموظفو الضرائب والكتبة، ولم يرد ذكر أي شخص من طبقة الفقراء (كريمر، (د.ت)، الصفحات 47-48)

في حين تذهب بعض النصوص إلى أن التعليم لم يكن مقتصرا على أبناء الطبقات المتمكنة اقتصاديا وسياسيا، بل كان بإمكان عدد من أبناء الفقراء أن ينخرطوا في سلك التعليم، وهو ما تشير إليه صراحة ترنيمة جاءت على لسان الملك "شولجي" نصها يقول:"...من يريد أن يصبح عالمًا أو كاتبًا، يبدأ حياته بالذهاب إلى بيت الألواح، وإن كان من بيت متواضع فسوف يدرس سوية مع أبناء الأمراء ويرتفع إلى مراتبهم"، وهذا يعني أن التلميذ من أسرة ميسورة الحال، لا تستطيع تلبية متطلبات ابنها الدراسية، بسبب تردي وضعها المادي وإمكانياتها المحدودة، وهذا يدل إلى وجود بعض التلاميذ من أبناء الفقراء على مقاعد الدراسة، وانخراطهم في سلك التعليم آنذاك وإن كان ذلك بنسبة ضئيلة جداً (عواد، 1986، صفحة 46) .

وكان معظم الطلاب ذكورا في المدارس السومرية، غير أن هذا لا يعني عدم وجود الاناث فالنصوص المسمارية تشير إلى أن الاناث تمرسن في الكتابة، رغم ان عددهن لم يكن كبيرا (رشيد، 2004، صفحة 150)، وقد يكون السبب الحاجة إلى تكريس سنين طويلة لعملية التعليم لإتقان فن الكتابة المسمارية، وذلك يعد عائقا أمام الاناث للانخراط في سلك التعليم ومشاركة الذكور في هذا المضمار (الجميلي، 2005، صفحة 124).

ومن خلال ما ورد في النصوص المسمارية كان التلميذ الذي عُرف بالسومرية باسم "دومو-أي-دوبا (Dumu.E.Dubba) "أي "ابن بيت الألواح"، يلتحق بمقاعد الدراسة في سن مبكرة دون العاشرة أي من صباه إلى أن يصبح شاباً، وكان عليه أن يواظب على دروسه في المدرسة يومياً من شروق الشمس إلى غروبها، كما كان عليه أن يتفادى التأخر، فإن وصل متأخراً فعليه أن يجلس في مقعده دون أن يلاحظه المعلم، وإلا نال التوبيخ والقصاص مع تذكيره بالأخطاء السابقة أيضاً، كقيامه مثلاً من دون إذن أو عدم احترامه معلميه، أو انتقاد عملهم (علي، 1995، صفحة 133) .

ومن جهة أخرى كان المدرسون يشجعون طلابهم ليحسن عملهم عن طريق المديح والإطراء، إلا أن اعتمادهم في تقويم أخطاء طلابهم عند تقصيرهم في اداء واجبتهم على نحو مرض هو التجاؤهم إلى العصا، ويبدو أن علاقة التلميذ بالأستاذ كانت علاقة يسودها نوع من الأبوة إلى درجة

أنهم كانوا يكتبون أبناء الكاتب فلان رغم أنهم ليسوا أبناء حقيقيين وإنما أوكل له مهمة رعايتهم وتوجيههم وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة (كيبرا، 1964، صفحة 181)

وقد ورد في أحد النصوص أنه كانت هناك عطلة للطالب في أثناء السنة الدراسية (كريمر، (د.ت)، صفحة 51)، مدة العطلة كانت ستة أيام في الشهر، وهذا النص لتلميذ من أور يذكر فيها أيام العطلة في الشهر :

أيام حريتي ثلاثة أيام كل شهر

واحتفالاتها ثلاثة أيام في كل شهر

فيها أربعة أيام وعشرون يوما كل شهر

تمثل حياتي في بيت الألواح ،انها أيام طويلة (ساكز، 2010، صفحة 11) .

2.4. هيئة التدريس:

يعتبر المعبد أول ميدان نمت فيه العلوم وترعرعت به أولى مبادئ الكتابة والتدوين، فقد كان المعبد المدرسة الاولى وذلك منذ العصور السومرية المبكرة (رشيد، 2004، صفحة 150)، وقد كانت هذه المدارس ضمن أحد أجنحة المعبد أو ملحقة به، وكان الكهنة فيها المعلمين الأوائل والمؤسسين الفعليين، فنجد المعلم يعرف باسم "أميا (Ummenu) "وتعني الخبير، أو "أب المدرسة"، أما مساعده فعرف بالسومرية باسم "الأخ الأكبر" وكان من واجباته كتابة الألواح الجديدة ليستنسخ منها الطلاب مع فحص النسخ والحرص على سير عملية المذاكرة، كما كان من ضمن الهيئة الإدارية في المدرسة "رجل النظام" ، إذ كان يقوم بمراقبة سلوك التلاميذ خارج المدرسة، إلى جانبه كان هناك المسؤول عن الانضباط ويدعى بـ"رجل السوط" (عواد، 1986، صفحة 112)

أما عن تخصصات معلمي التدريس فنجد المعلم المشرف على الرسم، والمعلم المشرف على اللغة السومرية "دوبشار-كينجيرا (Dubshar-Kengira) "، ومعلم الحساب "دوبشار-نيشيد" (Dubshar-Nishid)، ومعلم أعمال المساحة "دوبشار-آشاجا(Dubshar-Ashaga) "، ومعلم النشيد "نرجال(Nar.Gal) " (الشواف، 1999، صفحة 300)، كما كان من هيئة المدرسة المرشدون المنوط بهم أمر المواظبة على الحضور، ولا يُعرف شيئاً عن مصادر دخلهم، ويرجح أن "أبا المدرسة" هو الذي كان يدفع أجورهم مما كان يحصل عليه من أجور الدراسة من الطلاب (كريمر، (د.ت)، صفحة 48)، والتي كانت متمثلة في بعض المواد العينية كالخبز والقمح والشعير، وربما أحيانا مقدار من التمور أو من الفضة (عواد، 1986، صفحة 112).

5. المناهج والدروس:

بدون شك كانت للمدارس السومرية مناهج مقررة تشمل تعليم التلاميذ القراءة والكتابة إذ يبدأ التلاميذ بقراءة وكتابة العلامات المسمارية، فكان المعلم ومساعده يكتبان الدروس ليتدربوا عليها، وكان على التلاميذ أن يتعلموا في بداية مشوارهم الدراسي كيفية تحضير الرقم الطينية

وتهيئتها للكتابة، ومن ثمَّ كيفية ضغط وطبع الإسفين (المسمار) الأفقي والعمودي والقطري (المائل) على تلك الرقم الطينية، وترتيبها بشكل منظم يؤدي إلى طبع الرموز المسمارية بدقة (عواد، 1986، الصفحات 55-56).

وكان على التلميذ عندما يصل إلى المدرسة صباحا أن يدرس اللوح الذي أعده في اليوم السابق، ثم يُهيئ "الأخ الكبير" (مساعد المعلم) لوحاً جديداً يشرع الطالب في استنساخه ودرسه، وكان كل من أبي المدرسة والأخ الكبير على ما يرجح يفحصان استنساخه ليتأكدوا من صحته، ومما لا ريب فيه أن الاستظهار كان يقوم بدور كبير في سير درس الطالب، كما أن المعلمين ومساعديهم كانوا يشفعون تلك الأثبات والجداول المجردة والنصوص الأدبية التي كان على الطالب أن يستنسخها ويدرسها بتفسيرات شفهية وتوضيحات (علي، 1995، صفحة 133).

وبعد انتهاء المقررات الدراسية، كان يجرى تقويم خاص للطلبة لمعرفة مستوياتهم، وقد أسفرت التحريات عن كشف نص يعتقد أنه رقيم لامتحان طالب، وهو عبارة عن أسئلة من طرف الأستاذ لتلميذه:

السؤال الأول: بدأ فن الكتابة بالمسمار. والمسمار له ست قراءات مختلفة ويرمز أيضاً إلى الرقم (60) فهل تعرف ما اسم هذا المسمار؟

السؤال الثاني: كل ما تعلمته من اللغة السومرية، هل تعرف ما يقابله بالأكادية؟

السؤال الثالث: هل تعرف كيف تترجم الكلمات عندما تكون اللغة الأكادية في النص إلى الأعلى والسومرية إلى الأسفل، أو عندما تكون اللغة السومرية في الأعلى والأكادية في الأسفل؟

السؤال الرابع: هل تعرف ماهية الغناء؟

السؤال الخامس: هل تعرف في اللغة الآكدية لهجة صاغة الذهب والفضة؟ ولهجة صانعي الأختام الأسطوانية؟ وهل تفهم كلامهم؟

السؤال السادس: ه تعرف لغة الخطباء؟ وهل تستطيع التفريق بين لهجة رعاة الماشية ولهجة السفّانة؟ وهل تعرف مصطلحاتهم؟

السؤال السابع: هل تعرف عملية ضرب الأعداد؟ وهل تعرف استخراج معكوس الأعداد؟ وهل تعرف معاملات الأعداد؟ وهل تعرف مسك الدفاتر؟ وهل تعرف تسوية الحسابات الإدارية؟ وهل تعرف التعامل التجاري؟ وهل تستطيع مسح الحقول؟ (عواد، 1986، الصفحات 56-57)

وقد كشفت التنقيبات عن مئات الألواح المنقوشة بمختلف أنواع التمارين المدرسية التي كانت تُهيأ في واقع الحال من جانب الطلاب أنفسهم كجزء من أعمالهم اليومية المدرسية، وتختلف خطوط هذه الألواح من حيث الدقة والمهارة، فبعضها مدون بخط رديء بعيداً عن الإتقان مما كان يكتبه المبتدئون، وبعضها مكتوب بخطوط منتظمة مما كان يكتبه الطالب المتقدم الذي كان على وشك الانتهاء من دراسته (الأحمد، 1975، صفحة 109)، وكان الطلبة المتفوقون في الامتحان

يتأهلون إلى مرحلة جديدة من التعليم (عواد، 1986، الصفحات 55-56)، وهي على الارجح مرحلة التعليم العالي الذي يتطلب توسعا في العلوم الرياضية والطب والفلك القانون ...الخ، وهي العلوم التي برز فيها العراقيون القدامى خاصة الحساب وعلم الفلك اللذين برز فيها كهنة بلاد الرافدين بشكل كبير جدا وملفت، ويتم الاستعانة بهما في الاعمال اليومية من اقامة للطقوس والاشراف على اعمال البناء والتشييد ومسك دفاتر المعبد والسهر على احواله.

6.خاتمة ونتائج الدراسة

وكخلاصة للدراسة يمكن استنتاج مجموعة من النقاط التي اراها مهمة في نظري لأخذ فكرة واضحة عن التعليم في بلاد الرافدين عموما والمدرسة السومرية خصوصا، والتي أسهمت بشكل كبير في حفظ التراث الرافدي من جهة والرقي بالحضارة الانسانية بشكل عام من جهة ثانية، ونذكر منها:

- لعبت البيئة في بلاد الرافدين دورا هاما في اختراع الكتابة؛ حيث كانت المادة الاساسية للتدوين تتمثل في الرقم الطينية، كما أن قلم الكتابة مستمد من أرض العراق القديم.
- الكتابة المسمارية في مراحلها الاولى -التصويرية- تعبر عما كان يشاهده العراقي القديم في بيئته.
- الحاجة البالغة لتدوين مداخيل المعبد هي التي ساهمت بالدرجة الاولى في اختراع الكتابة، وكان في مقدمة المعارف الحساب نظرا لأهميته الكبيرة للمعبد.
- ارتبط ظهور المدارس في بلاد الرافدين وتطورها باختراع الكتابة ضف إلى ذلك مساهمة الكهنة في عملية التعليم وتلقين الدروس للمتعلمين، حيث كانت المدارس ملحقة بالمعابد والقصور، وتحت اشراف الكهنة بالدرجة الاولى.
- ساهم المعبد والقصر بشكل كبير في تشجيع التعليم حيث يتقلد الكاتب مراتب عليا في الدولة. وله مكانة خاصة في المجتمع ويساهم في تغطية العجز الموجود على مستوى الدوائر الادارية للدولة.
- ساهمت المدرسة السومرية في حفظ التراث العراقي القديم من آداب وفنون وعلوم ومعتقدات؛ حيث أن عملية النسخ أدت إلى نقل التراث جيلا بعد جيل.
- التدريس في بداياته كان يقتصر بشكل عام على تعليم الكتابة المسمارية وقواعدها وكذا الامور العقدية، ثم تطور ليشمل الامور الدنيوية.
- كان التعليم موجها بالدرجة الاولى للذكور فهم الفئة الاكثر استهدافا لكن هذا لا يعني عدم وجود فتيات متعلمات.
- التعليم كان يتم مقابل دفع أجر شهري لا يقدر عليه سوى ميسوري الحال. فالمدرسة السومرية كان لها الفضل الأول في تكوين التلاميذ وإعداد الكتّاب الذين تولوا فيما بعد وظائف ادارية وحكومية، وكان لهم اثر كبير في شتى المجالات الحضارية.

- لولا المدارس السومرية لما وصلت الينا مختلف العلوم والمعارف والاداب والفنون والشرائع والقوانين الرافدية، وخير مثال على ذلك مسلة حمورابي، وملحمة جلجامش.
- لم توجد مؤسسة ثقافية في حضارة وادي الرافدين أسهمت في حفظ تراث العراقيين القدماء وبخاصة التراث السومري مثلما كانت عليه المدرسة.

قائمة المراجع

1. أحمد مالك الفتيان. (2001). التعليم في العراق القديم. *مجلة المورد، مج29*(01).

2. إدوارد كييرا. (1964). *كتبوا على الطين* (الإصدار ط2). (محمود حسين الأمين، المترجمون) بغداد: مؤسسة فرانكلين، للطباعة والنشر.

3.اوكيل صبيحة، 2017، ظاهرة التوحيد في بلاد الرافدين بن النصوص القديمة والديانات السماوية، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر.

4. برهان الدين دلو. (1989). *حضارة مصر والعراق*. بيروت: دار الفارابي.

5. جورج سارتون. ((د.ت)). *تاريخ العلم*. (محمد خلف الله وآخرون، المترجمون) مصر، مصر: دار المعارف.

6. ذياب البدانية. (2012). *التوثيق العلمي دليل النشر العلمي*. عمان الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.

7. سامي سعيد الأحمد. (1975). *السومريون وتراثهم الحضاري*. بغداد، العراق: مطبعة الجامعة.

8.سعيد إسماعيل علي. (1995). *التربية في حضارات الشرق القديم*. القاهرة، مصر: عالم الكتب.

9.سيد حسب الله، و جلال غندورة محمد. (1996). *تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية*. الرياض: دار المريخ.

10.سجى مؤيد عبد اللطيف، 2013، الأصول المبكرة للكتابة الهجائية بين الخط المسماري والخطوط المصرية القديمة ودور بلاد الشام في ابتكاره، مجلة الأستاذ، المجلد01، العدد 207.

11.صموئيل نوح كريمر. ((د.ت)). *من ألواح سومر*. (طه باقر، المترجمون) بغداد، العراق: مكتبة المثني.

12.عامر الجميلي. (2005). *الكاتب في بلاد الرافدين القديمة* (الإصدار ط1). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

13.عبد السلام الجعافرة. (2013). *التربية والتعليم بين الماضي والحاضر*. عمان الاردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

14.عبدالعزيز صالح. (1973). *الشرق الأدنى القديم* (الإصدار ط2). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

15. عبدالوهاب حميد رشيد. (2004). *حضارة وادي الرافدين-ميزوبوتاميا-*. دمشق، سوريا: دار الثقافة.

16. فاروق ناصر الراوي. (1985). *جوانب من الحياة اليومية موسوعة حضارة العراق*. بغداد، العراق: دار الحرية.

17. قاسم الشواف. (1999). *ديوان الأساطير-سومر وأكاد وأشور*. بيروت، لبنان: دار الساقي.

18. كوكيس عواد. (1986). *خزائن الكتب القديمة في العراق القديم من أقدم العصور حتى 1000هـ*. بيروت، لبنان: دار الرائد العربي.

19. محمد حرب فرزات، و مرعي عيد. (2000). *المدخل إلى تاريخ الحضارة*. دمشق، سوريا: منشورات جامعة دمشق.

20. هـ ج ويلز. (2003). موجز *تاريخ العالم*. (عبدالعزيز توفيق جويد، المترجمون) القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

21. هاري ساكز. (2010). *الحياة اليومية في العراق القديم –بلاد بابل وآشور-*. (كاظم سعد الدين، المترجمون) بغداد، العراق: دار المأمون للترجمة والنشر.

22. هاني عبدالرحيم إبراهيم. (2006). *تاريخ الكتابة والمكتبات وأوعية المعلومات*. الإسكندرية، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب.

23.هنري فرانكفورت. (1950). *فجر الحضارة في الشرق الأدنى* (الإصدار ط2). (ميخائيل خوري، المترجمون) بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.